

الحوراء الإنسية في المصنفات العربية

دراسة في الفكر التأليفي

الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء مثلاً

■ أ.د. محمد محمود زوين

الحمد لله الذي جعل طاعة أوليائه نظاماً خلقه، وإمامة أصفياه أمناً لعباده، فهم الوسيلة إليه وخاصته ومحلّ قدسه وحبّة غيبه وورثة كتابه، وصلى الله على محمد نبيه وأمينه على الوحي وعلى آله سفينة النجاة وعين الحياة..

توطئة :

تقوم هذه الدراسة على لتستكشف ابعاد التصنيف والتأليف فكراً حول آل محمد صلّى الله عليه وآله عموماً والزهراء الصديقة الشهيدة عليها السلام على وجه الخصوص بعد ان اختار البحث عينة من المؤلفات تجاوزت المائتين من الكتب المودعة في خزانه مكتبة الروضة الحيدرية، ووقف عند أهمّ ما كتب وصدر عن الصديقة الطاهرة وهو كتاب (الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء) لمؤلفها إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

إنّ معرفة الصديقة الطاهرة عليها السلام من مصادرها الالهية الوحيانية والسنية كان من اهم مدارات الفكر التأليفي المتعامل مع مقامها وسيرتها، وما لها من ارتباط مع



عصرها، فضلاً عما كان من نتاج وآثار تلك البيئة التي صادرت حقوقها وتعدت على مقامها حتى مضت عنا شهيدة وشاهدة صادقة مصدقة بكل ما اظهرت من حراك في الدفاع عن الرسالة والإمامة لتكون أول الذابين عنهما والمستشهادين في سبيلهما بعد النبي ﷺ، حاولت هذه الوريقات بيان فكرة البتول الطاهرة وتجسدها في صفحات الكتب، و صفحات القلوب والألباب وانعكاسها فكراً عقدياً تأريخياً...

أهل البيت عليهم السلام في مدارات التأليف والتصنيف :

تعاهدت الأقلام والأفكار أهل البيت عليهم السلام في التأليف والتصنيف منذ خمسة عشر قرناً، وتعاهدت القلوب والألباب ولايتهم ومحبتهم في العوالم الأخرى التي لا يعلم حقائق أمدتها وكيفيتها إلا الله تعالى.

ولم تكن تجليات مقاماتهم الإلهية في هذا العالم إلا مثالا أو تأويلاً للعوالم الأخرى على نحو من المراتب المتناسبة معها.

ولعلي لا ابتعد عن الحقيقة - وإن رأى بعضهم ذلك مجازاً - حينما أقول ان فكراً ولائياً، وشغفاً فطرياً، وإخلاصاً عملياً جسده العقل الفعلي - كل بحسبه - في التأليف والتصنيف في أهل البيت عليهم السلام كان صورة حيّة لما قبل ذلك.

ولو طالعت المسألة من زاوية أخرى تلمس مصداقها في تراث أهل البيت عليهم السلام الذي وصلنا اليوم وتمثل بواقع حي بين أيدينا لوجدت أنه يحمل في أبعاده نظرة كونية جاءت عبر سنة أسست لمشروع حضاري إنساني مصدره وقاعدته السماء، وطريقه بيان مرادات كتبها الإلهية وشرائعها المقدسة، فيتكامل معها ويعضدها بمثال واقعي تطبيقي موضوعي لا ينبت أبداً عما قبله من الرسالات، وهو في الوقت ذاته لبُ الرسالة الإسلامية وهويتها الإنسانية الحضارية التي نفتقد توظيفها في عالمنا اليوم.

وبعبارة أخرى يمكن القول إن تأملاً عقلاً نياً بما يحمله تراث آل محمد ﷺ كما

ونوعاً من رؤية كونيّة للوجود والحياة، والإنسان يمثل ميراثاً يعزُّ وجوده في هذا العالم لشموليته وعمقه فضلاً عن تأصيله وتأسيسه لمبادئ التعايش الإنساني الحضاري بين الناس سواءً كان ذلك في تجارب حياتية أو نصوص وأحاديث روائية أو وقائع ومواقف تاريخية أو غير ذلك مما يعدُّ بمثابة السنّة في (القول والفعل والتقارير) ولها في أبعاد التحقيق والتثبت إجراءات ليست محلّها في هذا المقام.

ولعلّ النظر المدقّق في كيفية تعامل الفكر الإسلامي، ولا سيما الفكر التأليفي والتصنيفي مع هذا الميراث الإلهي النبوي الرسالي لم يكن أبداً بالمستوى المناسب لا من جهة هذا الميراث أو من جانب هذا الفكر، وكأنك تجد مصداق ذلك في أن المصنفات حول هذا الميراث لا تتناسب عدداً أو نوعاً مع فرادته وعمقه وشموليته إلا ما ندر، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار علّة ذلك وأسبابه سواءً كانت السياسيّة أو المذهبيّة الطائفيّة... إلخ هذا من جهة، ومن أخرى إنّ توظيف هذا الميراث والاستفادة العلميّة منه من جانب الفكر الإسلامي على المستوى العملي والعلمي كان أقل مدى، وأضعف شأنًا وكأننا أمام حالة تُوضّح تسويراً عازلاً لتراث آل محمد صلى الله عليه وآله وإبعاده عن ساحة الفكر والحياة وكأنه متخصصٌّ بجهة الإماميّة من دون غيرهم من المسلمين أو من جهة من يعتقد بأهميته ورسالته من دون غيرهم ممن يثرون عليه الشبهات والاتهامات والتخرصات، وواقع الأمر ان من يحاول تسوير الفكر وغلق حلقاته إنما يعزل فكره ويحكم غلق أفكاره على نفسه وتحجره أمام ما يعتقد، وقصوره أمام الآخر في حركية فكره وحرية اعتقاده وعمله الموصل إلى الغاية من دون قيد سوى الدلائل والبراهين^(١).

ولك أن تأخذ على ما ذكرت مثالا في أي اتجاه تصنيفي عند المسلمين وتبحث فيه عن آراء ومقولات أهل البيت عليهم السلام ومدى توظيفها والاستفادة منها في أي جهة أو بُعد تراه مناسباً، وأول ما يتوجه إليه النظر في ذلك ما تعلق بكتاب الله المجيد وما قيل فيه من بيانات تفسيرية أو قواعد تأسيسية لفهمه وبيانه لتعرف مدى وأهميّة ما



قدمه أهل البيت من معطيات علمية وكيف هجرت، ولم ضعف الاعتماد عليها في التفسير بل ندرة اعتمادها وترك التزام تفسيرهم على ما له من مقام مبين يذكر أو يعتمد على الرغم مما له من الاستدلال ووجوه الاحتجاج.

ويجاء سريع لو تقصيت آراءهم التفسيرية في المصنفات التفسيرية عند عامة المسلمين حتى القرن العاشر الهجري مثلاً كما ونوعاً لتوصلت إلى هامشية وضعف الأخذ بها على ما لها من مقام كما أسلفت، ولو ذكرت آراؤهم وقواعدهم التفسيرية واعتمدت منظومتهم كما هو شأنها ومكانها من كتاب الله تعالى لرأيت مدارات علم التفسير وقواعده وآلياته وما تعلق بأحكامه ودلالاته على غير ماهي موضع إشكال واختلاف وتنازع علمي له آثاره ونتائجه ووطأته المباشرة في الفكر التأليفي من جهة وتجسيده العلمي بين المسلمين في واقعهم من جهة أخرى، ولك أن تتأمل مثلاً في قضايا مختلفة في علوم القرآن وتاريخه وتفسيره أمثال فكرة القراءات القرآنية، أو النسخ والمنسوخ، أو المحكم والمتشابه، أو أسباب النزول ... الخ لنرى كيف كان هجر مقولاتهم التفسيرية وفهمهم القرآني أداة لاعتماد آراء من لاحتريجة له بالدين مما يشوه دلالة النص القرآني أو ما يؤدي به إلى المصداق المعاكس (السلبى) لدلالاته ومراداته وكأننا أمام حالة من الكشف التفسيري لا عن المراد الإلهي من النص بقدر ما يكون كشفاً عن الأهواء والأمزجة الشخصية الفردية التي تجد متعلقاتها بالحكام والسلطة، هذا مثال لما هو واضح وبيّن في تعامل الفكر التصنيفي والتأليفي القرآني مع تراث آل محمد ﷺ القرآني، وإذا شئت أن تطبق مادة ذلك في مجالات الأحكام والعقائد والعلوم والمعارف الدينية كاملة والآداب والتاريخ والسياسة الخ لرأيت عجباً عجاباً في التغافل عن تراث يمثل الغنى والسمو بكل معانيها في كل المجالات.

ويا للأسف لقد كان في ترك آل محمد ﷺ واستبعادهم سياسياً من السلطات وحكام الجور منظومة لها ابعادها الثقافية في حرب واستعداد كل مظهر علمي فكري إنساني يتصل بهم فإذا بنا نرى أن ما وصل إلينا من تراثهم عبر شيعتهم ومواليهم جاء

على طبق من دماء حفظت ورسخت ذكرهم وميراثهم العلمي ببذل النفوس والتضحية بكل شيء، فما وصل إلينا عنهم لا يمثل كل ما هو واقع في عصورهم فقد تعرض أغلبه وعامته للحرق والاغتيال والتضييع بمختلف الطرق والشواهد على ذلك أكثر من أن تعد، في مقابل هذا ركزت منظومة السلطة السياسية على التصدي الحازم لتراث أهل البيت عليهم السلام وذلك بتنمية روح التعصب المذهبي الطائفي في اتجاهاته الواسعة في كل المجالات بدءاً من محاولة تشويه وتزييف وانتحال تراث أهل البيت عليهم السلام والوضع في مقابل كل مزية وفراة وحيانية قرآنية أو سننية مزية أخرى لأعدائهم أو لمن هم دونهم.

جاء في شرح نهج البلاغة «روى أبو الحسن على بن محمد بن ابي سيف المدائني في كتاب (الاحداث) قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم ايام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدبر واخافهم وقطع الايدي والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة على واهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واکرموهم واکتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته . ففعلوا ذلك حتى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والخباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء احد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيله أو منقبه الا كتب



اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً . ثم كتب الى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر
وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية
في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في ابي
تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا احب الى واقر لعيني وادحض
لحجة ابي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله . فقرئت كتبه على
الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في
رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقي الى معلمي
الكتاتيب فعملوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما
يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما
شاء الله . ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة
انه يجب عليا واهل بيته فاحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة
اخرى من اتهمته بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء اشد
ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام
ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يجدته حتى
يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر
ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء
المراؤن والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث ليحفظوا
بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل حتى
انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب
والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا
تدينوا بها . فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء
والفتنة فلم يبق احد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الارض . ثم
تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة



وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه اهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة اعدائه وموالاة من يدعى من الناس انهم ايضا اعداؤه فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغض من علي عليه السلام و عيبه والظعن فيه والشنان له حتى إن انسانا وقف للحجاج - ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن قريش - فصاح به ايها الامير إن اهلي عقوني فسموني عليا واني فقير بائس وانا الى صلة الامير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا . وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من اكابر المحدثين واعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن اكثر الاحاديث الموضوعه في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بنى امية تقربا إليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بنى هاشم^(٢)، فضلا عن محاولة تحجيم وتقتيل عناصر فاعلية هذا التراث في تلك العصور والعمل بكل قوة على وأدها في مكانها زماناً ومكاناً لكي لا تغادر عصرها أو رجالها ولكن ﴿يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾^(٣) والمحصلة أننا تلقينا تراثهم أو قل ما نجا من تراثهم كابرأ عن كابر بما يظهر ويجذر منظومة الإمامية وإجرائياتها العلمية المعرفية وكيفياتها في توارث العلوم والمعارف ونقلها من جيل إلى آخر، ومن عصر إلى عصر متطورة ناضجة حية فاعلة محفوفة بالتضحيات والفداء، من دون أن يتصور أحد أن تراث أهل البيت وما تعلق بهم من فكر تألّفي تصنيفي لشيعتهم ومواليهم كان مدار استهداف السلطات وطواغيت الحكام اقتصر على تلك العصور السالفة دون عصرنا الحديث أو المعاصر فذلك أمر تنكره وتشهد بنقضه حوادث عصرنا الحالي وزمننا هذا بما شاهدناه ونشاهده من تقتيل وإرهاب وتطرف ضد مفكرينا وكتبنا وعقائدنا على يد زمر تبنت فكرة القوم أبناء القوم شكلاً ومضموناً، فإحراق مكتبة الشيخ الطوسي وكرسيه العلمي في بغداد ليس بمعزل عما قبلها من إحراق مكتبات الشيعة الحاضن لتراث أهل البيت عليه السلام وكذا الأمر لا ينبت عن حرق وتفجير مكتبات النجف الأشرف وقتل علمائها ومفكرها ورجالها.



وعلى الرغم من ذلك فإن ما أُلّف وصنّف في خمسة عشر قرناً وأكثر من ثلاثة عقود حول أهل البيت عليهم السلام كان في مداراته الكبرى على يد شيعتهم ومواليهم مقرّين فضلهم ومقامهم بذلك بما نص عليه الوحي وقرره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ورسختها السنّة المطهّرة في أبعادها المختلفة، وجرى أقل ذلك بكثير على يد بعض عامة المسلمين^(٤).

إن جدولة ما صنّف وألّف في تراث أهل البيت عليهم السلام على الرغم من قلته يمكن ويقرّب المسافة من فهم معطيات هذا التوجه المتناغم مع تراثهم عليهم السلام فيتعامل معه تعاملاً فكرياً معقلاً كونهم القادة الفعليين للأمة وان لم يلبسوا جلباب السلطة الإلهية الدنيوية التي اغتصبت منهم، وفي هذا الباب يجد الباحث اللبيب في تراثهم مبادئ وقواعد بناء الإنسان فكراً وعملاً، وبناء الدولة وأسس قيامها فضلاً عن نظرة شموليّة لكل أنظمتها وعناصر نموّها وتطوّرها عصرياً في الأبعاد كافة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة... الخ.

إن استمداد فكرة بناء الإنسان فرداً ومجتمعاً وحضارة وطرق تسالمة وتعايشه مع الآخر المغاير أو المتفق، المؤالف أو المخالف كل ذلك جرى بشكل يتدرّج فيه الفكر بلحاظ سياقات عصور أهل البيت عليهم السلام وسبل إنضاج الأفكار تبعاً لتناسبها مع تجارب وحاجات كل زمان، وان تحطّت في كثير منها أبعاد زمانها ومكانها لتكون قاعدة إنسانيّة عامة لا ينفلت منها الإنسان أو الزمان أو المكان^(٥).

هذا من جهة ومن جهة أخرى تلحظ التفاعل الوجداني العاطفي الذي عمّاه الشغف بولايتهم وحبهم، وانكار ما تعرضوا له من أذى وتقتيل وترهيب وتطرّف فاق كل التصورات، مقابل ما هو مكنون مخزون من إنسانيتهم ورحمتهم وشفقتهم بالأمة وإن جاهرهم بالنبد والعصيان والعدوان، هذا الشكل من التفاعل التآلفي التصنيفي مع تراث أهل البيت عليهم السلام شكّل دعامة حقيقية في تجذّر العقيدة بأهل البيت عليهم السلام فكراً ووجداناً.

ولا أستبعد مطلقاً عن الفكر والعقلانية روح ولبّ استشعار مظلومية أهل البيت عليهم السلام أزاء العدوان على مقامهم ومكانتهم الرسالية عاطفياً، فالتفاعل العاطفي في اعتقادي لا تنقطع أسبابه عن الفكر بل العكس عندي أوجه علة وأعلا عذراً، فسمو المقام والمنزلة وإدراكها ووعيهما ومعرفتهما معقلنين يؤدي بالنتيجة عند التعرض لها أو التعدي عليهما وهتك حرمتها إلى الانفجار فكرياً وعاطفياً وهذا ما جرى مع أهل البيت عليهم السلام حيث ان الاعتقاد بهم عليهم السلام مقاما رسالياً وانتجاباً إلهياً لا يداني، ومحلاً عقائدياً لا يظهر أساساً وقاعدة للتفاعل معهم عليهم السلام تأليفاً وتصنيفاً^(٦) وحسبنا في هذا المقام مثالا لذلك ما ألف وصنف عن الصديقة الشهيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

مصادر معرفة الصديقة الشهيدة في الفكر التأليفي:

يستمد الفكر التأليفي صورة الزهراء وهويتها المعرفية من جوانب عديدة أهمها المصدر القرآني وما نزل فيها من آيات الذكر المجيد، وهذه المنزلة الإلهية لا يدانيها فيها حتى من جاء ذكرها في القرآن صريحاً، فمريم ابنة عمران أو آسية أو غيرها ممن جاء ذكرهنّ الوحياني أو ممن جاءت الإشارة إليهنّ في القرآن لا يصلن لمقام من كانت في مقامها نوراً إلهياً، ومن أركان آية التطهير والمباهلة والقربى وغيرها^(٧).

ولم يغب وجه المماثلة والمشابهة والمقاربة بين التصريح بذكر مريم ابنة عمران والإشارة إلى مقام سيدة النساء عليها السلام قرآنيّاً في أوساط الفكر التأليفي عن الصديقة الشهيدة^(٨) والتصريح أو التلميح قرآنيّاً لا يلغي التفاضل بينهما وفي ذلك دلالات قرآنية استناداً إلى أدلة ووجوه برهانية أساسها أساليب القرآن في التعبير عن المعاني، ودعوته للتفكير والتدبر من جهة وبيانات من السنّة المطهّرة أكدت بأنها سيدة نساء العالمين، وما مريم ابنة عمران إلا مثل ضربه الله تعالى لفاطمة عليها السلام في القرآن^(٩) من جهة ثانية.

أما المصدر الثاني في رسم معالم صورتها في الفكر التألّيفي فهو مقامها في السنة المطهرة وفي هذا المجال نشهد أمراً وخطباً جليلاً في وصف خصائص الصديقة الشهيدة عليها السلام بدءاً من وجودها خلقها ووجودها النوري إلى انعقاد نطفتها وخصوصية حملها وولادتها وتسميتها وزواجها إلى علاقتها مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليهما السلام وتحديث الملائكة لها إلى مقامها بين نساء العالمين وفضليتها عليهم إلى شبهها بالنبي ورعاية النبي صلى الله عليه وآله لها وتكنيته بـ (أم أبيها) وما فيه من دلالة وإشارات عظيمة وكونها الصديقة المعصومة ابنة المعصوم زوجة المعصوم أم المعصومين وهذا لم ين تشترك فيها أو تشابه بها نساء العالمين أجمعين، فهي في فرائد من الرعاية الإلهية والمكانة النبوية الرسالية ولك أن تنظر في نصوص النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت فيها، وسنتهم الفعلية معها لتصل إلى أنها تمثل مظهراً إليها ملكوتياً تجسّد بهيأة إنسانية دنيوية، ولا يظن ظان أن هذه المنزلة وهذا المقام منحصر بهذه الكلمات المعبرة عن السنّة الرسالية فيها من خصوصيات مذهب دون آخر، أو طائفة من دون أخرى فهذا ما لا سبيل إلى التفكير فيه أو الاستدلال له، فإنك تجد للزهراء الصديقة من المنازل والمقامات العالية التي روتها السنّة والشيعّة وكيف كانت عين رعاية واهتمام النبي صلى الله عليه وآله وآله ولبّ السنّة المطهرة التي لم يظاهر مقام^(١٠) هذا موجز صورة رسمتها السنّة لفاطمة أما تصنيف ما جاءت به من خصوصيات فيحتاج إلى مصنفات بيانه كما فعل بعض الباحثين^(١١) وسأقف عنده لاحقاً.

وأهم ما أريد تأكيده أن الحديث عن مقام الزهراء عليها السلام ومكائنها ومنزلتها لم تكن منحصرة في طائفة أو مذهب أو فئة أو جماعة وإن كان مما يوجب النظر والتأمل أن كثرة التأليف أو قلته يؤشر مقدار الرعاية والتعظيم اللائق بهذه الشخصية الإلهية المحاطة بالأنوار القدسيّة.

فالتأليف في فضائلها ومقامها وما جرى عليها كان موضع إجماع المسلمين، ولك أن تنظر التصنيف في ظاهرة الفضائل والمناقب قديماً وحديثاً أنها كانت بأقلام



المسلمين عامة^(١٢) فضلا عن التدوين في الموسوعات الحديثية العامة والخاصة، وكل ذلك لا يعني أنها صلوات الله عليها تحظى بمقام واحد عند جميع المسلمين، وبمنزلة خاصة واحدة عند جميع طوائفهم ومذاهبهم فالإجماع على فضائلها ومناقبها عندهم شيء، ومعرفتها حق المعرفة التي تجسّد هذه المناقب والفضائل فكراً عملياً مصداقاً موضوعياً شيء آخر.

من هنا انفردت الإمامية والشيعة الجعفرية بعلقة خاصة بالصدّيقة الشهيدة، معالم هذه الصلة الخاصة الفريدة استمدّها الفكر التأليفي الإمامي من مدارات مختلفة منها ما يشتركون به عموماً مع المسلمين، ومنها ما لا يلحقهم في تصوّر معرفتها وتقديس منزلتها لاحق فهي صلوات الله عليها قاعدة التقاء الإمامة والنبوة، وهي مظهر النبوة وتجلي الإمامة، وهي اليد التي ذبت عن الرسالة كما ذبت عن الإمامة، هذا التلازم بين النبوة والإمامة في سمو مقامه جسده الزهراء عليها السلام فهي أمّ ابها وأمّ الأئمة عليهم السلام، وفي دلالة كنيّتها ب(أمّ) تأكيد لحجيتها وولايتها ولحقائق ترتبط بها وتدوب في كنهها.

وقد رسّخ وجذّر هذا المقام والمنزلة العظيمة في قلوب شيعتها مظلوميتها ومحاوله التعدي على حرمتها الإلهية، والتعرض لمقامها السماوي الجامع للنبوة والإمامة^(١٣)، وهذا هو المصدر الثالث والمحرك للفكر التأليفي معرفياً، حيث تشهد الحوادث التاريخية والوقائع والمواقف التي جرت في العهد الأول، ولا سيما بعد شهادة النبي الأكرم وارتحاله إلى الرفيق الأعلى على تجاوز السلطة آنذاك على حدود ما فرضه الله تعالى وسنة النبي الأعظم لها من حق ومكانة ومنزلة لم تكن على وجه الأرض لمثل أو شبه لها، وعلى الرغم من ذلك فقد أوذيت وظلمت حتى غضبت ووجدت وشكت وهي بضعة من الرحمة والالطف الإلهي بالناس فعجب كيف السبيل إذا كانت الرحمة والالطف مدعاة للغضب والعذاب .



وبعبارة أخرى يمكن عدُّ المصدر التاريخي بمواقفه وحوادثه التي سايرت الصديقة الشهيدة عليها السلام المصدر الثالث في تشكيل صورتها المعرفية في المصنفات المتخصصة بها، ولا سيما أننا نستطيع أن نقسّم مراحل سيرتها تاريخياً بحسب اعتقادنا على مرحلتين مهمتين لأثرهما في حياتها ومعطيات معرفتها في المصنفات عنها:

المرحلة الأولى: وتكون بدءاً من ولادتها إلى حين شهادة النبي صلى الله عليه وآله.

المرحلة الثانية: وتبدأ من شهادة النبي صلى الله عليه وآله إلى حين شهادتها عليها السلام ولكل مرحلة ما يميزها من أحداث تسهم في رسم معالم صورتها في الفكر التصنيفي، ولا سيما في المؤلفات الخاصة بها المستقلة بها، أو المصنفات العامة التي تؤرخ وتترجم لعامة التأريخ الإسلامي وسيرة المسلمين عامة.

فكانت المرحلة الثانية من حياتها أكثر سطوة وأبعد أثراً في ترجمة سيرتها فكراً؛ لأنها حملت حراكاً فاطمياً في مواجهة الانقلاب بعد النبي صلى الله عليه وآله على دستورهِ الوحياني، ووصيته الرسالية بالخلافة من بعده، وهذه المرحلة وإن قاربت في بعض صورها دورها في الذبّ عن النبي ورسالته أيام بعثته وفي معاركه مع المشركين إلا أنها في هذه المرحلة أكثر ظهوراً وأعمق دلالة لتوافرها على انكشاف حقائق التمرد على الرسالة وصاحبها وكل ما له صلة به حتى من كانت بضعة يؤذيه ما يؤذيها ويغضبه ما يغضبها وهي روحه وقلبه الذي بين جنبيه، فكانت النكبة التي قامت ضد علي والزهراء (صلوات الله عليهما) امتداداً للانقلاب الذي أشار إليه الوحي ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤).

لقد قابلت المؤلفات والمصنفات المتخصصة بالصديقة الشهيدة في أغلب الأحيان بين نموذجين أو إطارين فكريين تعلقا بها عليها السلام وهما سمو المنزلة والمكانة والحركة الإلهية لها من جهة، وجرأة التعدي على حرمة الله ورسوله وولايته في غضبها

فدكاً ومنعها ميراث رسول الله ﷺ والتجاسر على دراها حتى أضحت لفظة (وإن) جواباً على من قال : إن في الدار فاطمة تحذيراً وتعجباً ممن لا يأبه بالحدود الإلهية ، دليل على ما لها من مكانة (في ذهن وعقول المسلمين يشار عليها بالبنان ولا يمكن للمسلمين أن يتجاوزوها)^(١٥) من جهة وعلى الجرأة والتعدي فيمن قالها (وإن) على الحرمة العظيمة من جانبه مما اثار استنكار المسلمين (ان في الدار فاطمة).

لقد كانت مصادر معرفة الزهراء في كل أطرها في كفة وفي الأخرى جنبه التاريخية المنبأة عن مظلومية الزهراء الذي أسبغ على كل ذلك، وفيه، ومعه المعطيات العقديّة في الصديقة الشهيدة التي كان عمادها القرآن والسنة، فجاءت صورة وهيأة الزهراء الشهيدة في الفكر التصنيفي متجلباً بمظلوميتها ومحاوله التعدي على مقامها الإلهي من جهة ووظيفتها وحراكها الرسالي في الدفاع عن الإمامة والنبوة والرسالة الإسلامية بكل معانيها العالية الرفيعة.

إن تحول الفكر التأليفي عن الزهراء ﷺ من حيز السيرة والمواقف والحوادث التاريخية إلى حيز الفكر العقائدي بكل أبعاده ودلالاته أخرج قضية الزمان والمكان من دائرة الحدث وإسنادها إلى بوصلة العقيدة وهي الإيثار بقضية مظلومية الصديقة الشهيدة وكيف تحلت الأمة وانكفأت عن مبادئها ودستورها ونصرة الحق فيها وخضعت ولانت وسكنت قبالة التعدي على آل الله تعالى وآل رسوله ﷺ على الرغم من استنهاض الهمم لنصرة الحق بخطابات عامة وحراك ممنهج لتصحيح المسارات قادتها الصديقة الشهيدة^(١٦) تستنصر الصحابة وأهل الإيثار بها، ومن كان له موقف الثبات على منهج الرسالة والرسول، فكانت الخطبة الفدكية والمناشدات للصحابة والأنصار وإيقاظهم مدوية إلى اليوم تتجدد بتجدد قراءات مصادر الفكر التأليفي للتأريخ الحي الشاخص^(١٧).

إن ظهور الصديقة الشهيدة إلى ساحة المدافعين عن الإمامة بمصاديق مختلفة



منها المطالبة بنحلتها من رسول الله فدكا أو بعد منعها طالبت بميراثها من رسول الله، محاجة سلطة الخلافة بالنصوص والبراهين مسقطة كل ما في ايدي السلطة من ادعاءات وتخرصات نزعت وعرت السلطويين من أية شرعية يدعونها، أو حجة يحرفونها ويزيفونها فما مثل الزهراء ابنة الرسالة والرسول وزوجة الولي والوصي يداً لله تعالى يكشف بها عن الحق، وينقض الباطل فهي صورة مثالية للنبي وحرماته الرسالية، والتعرض لها يعني ويدل على مزايا القوم في الارتداد عن الدين القويم وسنة سيد المرسلين، وهو ما انتهى إلى أن تكون الصديقة ابنة الرسالة شهيدة شاهدة على الانقلاب والارتداد عن دين الله وشريعته ومنهج رسوله وسنته فلم تكن فدكاً ولا الميراث غاية في ذاتها^(١٨) إنما إقامة الدين والرسالة بالنبوة الخاتمة والإمامة الحقّة الغاية والهدف.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدكا وهي صادقة؟ فتبسّم ثم قال: كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال: لو أعطها اليوم فدكا بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وأدعت لزوجها بالخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار بشيء لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعي)^(١٩).

من هنا يمكن أن نقرر أنه ليس من غايات الفكر التألفي في الزهراء عليها السلام أن يوجه ضد أحد، أو أن قيامه وفعالته وتدارسه والتفاعل معه رد فعل عاطفي وجداني فحسب إنما هو فكر يستمدّ معطياته المعرفية بالزهراء الصديقة من القرآن والسنة المطهرة والأحداث والمواقف والوقائع التاريخية الموثقة التي أراد أو تعمد بعضهم إغضاء الطرف عنها، أو التغافل عما فيها، ورفض آخرون وأنكروا تكرار الظلم والعدوان على المقام والمنزلة الإلهية للصديقة الشهيدة بأن يتعاموا عن الحق، ويتغافلوا عن إنصاف أهلهم ونصرتهم، ولا سيما ان استنصار الزهراء لحقها وحق إمامها ما يزال

مدويّاً فاعلاً حيّاً في نفوس المظلومين وقلوب أحرار المؤمنين ضد الطاغوت أيّاً كان شكله أو تمثيل صورته عبر العصور والأزمان، ولذا فليس مهماً أن يختلف أو يرفض أيّاً كان مقولات الفكر التصنيفي عن الصديقة عليها السلام أقول ليس مهماً أن يقبل من يقبل أو يرفض من يرفض هذه المعرفة الفكرية للمصنفات التأليفية بقدر أن يستمد الفكر المعرفي التألفي عن الزهراء عليها السلام من مصادر حقيقية تنبأ عن مقولات وجواهر و اسرار تستند إلى الكتاب والسنة والتاريخ الموثق المشهور المعتمد به.

فالحقائق المستندة على التاريخ والأحداث والمواقف في ظلم الزهراء عليها السلام والاستهتار بالجرأة على مقامها الإلهي الوحياني القرآني السنني لا يمكن بأي حال من الأحوال ردّه أو إنكاره أو التغافل عنه فهذا مدعاة لتوكيد الظلم وإقراره والمجاهرة بحرب الله ورسوله وآله وهذا ما لا سبيل إليه فكراً والعياذ بالله تعالى فكيف القيام به والله المجير.

الصديقة الشهيدة عليها السلام في أنساق التأليف والتصنيف:

يمكن دراسة محاور وأنساق التأليف في اتجاهين بناء على نموذجين من التصنيف حول الصديقة الطاهرة عليها السلام :

الأول: عينة مختصرة من الكتب المؤلفة عنها عليها السلام تتجاوز (٢٠٠) كتاب، اعتمدها من خزانات مكتبة الروضة الحيدرية المقدسة والتي يربو مجموع كتبها على مئات العناوين وهي عبارة عن مؤلفات مستقلة منفردة مقسّمة على أجزاء لا تصل إلى كونها موسوعة في التأليف.

الثاني: محورها الموسوعات من المصنفات التي كان محورها الصديقة الطاهرة والتي اساسها التماس كل ما من شأنه أن يتصل بالزهراء من مفردات سيرتها ومناقبها وما لها قبل نشأتها الدنيوية، وما لها في مقامها الاخروي، وسأقف في هذا النسق عند خمسة موسوعات أهمها الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء التي هي عماد ما نهدف



في الوصول إليه من هذا العرض التأليفي.

● النسق الأول: يتجلى أمام التأمل في المصنفات حول الصديقة الشهيدة عليها السلام

أنها نقتب عن كل تفاصيل صورتها، واستوعبت مديات حراكها فلم تغب عنهم هياة الزهراء عليها السلام المقدسة النورانية قبل أن يخلق الله خلقه، ولم تغفل تجسدها الملكوتي وصلتها في مثالها الشهودي وانعقاد نطفتها من ثمار الجنة^(٢٠)، ولم تغادر هذه المؤلفات كذلك مقامها الأخروي الذي أنبأ عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: (حديث غضوا أبصاركم) وغيره مما جاء في شأنها، وما بينهما من حراكها الدنيوي (حملاً وولادة ونشأة) واقترانها بوصي النبوة وحياتها واسرتها وأولادها إلى كل ما له من تفصيل في شأنها، حياتها في ظل وكنف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ثم ما أصابها بعده من ظلم^(٢١) واغتصاب لحقوقها وتعد على منزلها وكشف دراهها ومرضاها الذي زامنها حتى ارتحلت شهيدة شاهدة صديقة على ما جرى عليها وبعلمها بعد النبي صلى الله عليه وآله، كل ذلك تفصيلاً بكلياته جاءتك به أفكار المؤلفين في عينة اخترتها واستقرأتها لاستكشاف طابع التأليف عن الحوراء الأنسية.

لذا يمكن القول إن وعي قراءة الصديقة عليها السلام وإدراك معرفتها يمكن تصويره أو تمثله عندنا وبأفكارنا بحسبنا وبحسب ما يتاح لنا من مستويات أو أبعاد تتمثل في البعد القرآني والتفسيري والبعد المناقبي والفضائي والبعد التاريخي والبعد العقائدي...^(٢٢)، ولعلنا في كل ذلك نستطيع نلمس الأبعاد من هنا أو هناك بجمع القرائن وتحليل ما يمكن الوقوف عليه بسياقاته وبيئته إلا انني أقف حائرًا ذاهلاً كيف لنا أن نفهم بعدها النوراني أو نتعرف أو ندرك كنه مقامها في العوالم التي خصها الله تعالى بها بالتكريم وعرف بعضه لنا من طريق أمناؤه وأوصيائه، ولم ولن نصل ذلك المقام المفترض في المعرفة لأنه خارج عن قدراتنا، ولربما ذلك يمثل في حد ذاته دعوة في التفكير والتدبر والتعرف (المحاولة والسعي وبذل الجهد) في سبيل تفهم ذلك كما جعلت ليلة القدر في أعظم مقام من الأزمان شهر رمضان وندب إليها والعمل فيها



النبي وأهل البيت عليهم السلام جاء مقامها - الصديقة الشهيذة - المعرفي والفكرة في تصور إدراك وقراءة صورتها النورانية المعنوية قرين ذكر ليلة القدر مع التذكير بصعوبة ذلك ولعل استحالته على الكثير الكثير أقرب لموارد الرواية ودلالاتها ومرادها قال:

«من عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة، لأن الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوة حتى أمر بفضلها ومحبتها، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دار القرون الأولى» (٢٣).

وإذا أنعمت النظر من زاوية أخرى فيما كتبت (العينة المختارة في البحث) عشرات المصنفات والمؤلفات حول الصديقة عليها السلام لوجدتها تناولت دقائق المفاصل، وخصائص الأحداث والمواقف، وذكرت كل ما تعلق بها مما شاع عنها ونقل فيها حتى أن القول يصح على حقيقته وفي مكانه الصريح والنفيس إذا صدحت بأنه لم يكتب في شخصية نسائية على وجه الأرض مثلما كتب عن الصديقة الطاهرة، من هنا يمكن أن ترصد الاتجاهات العامة للأفكار التي ألفت في الظاهرة الفاطمية من خلال ما يأتي:

١. التأليف في ما أثر عنها من تراث سواء خطبتها الفدكية أو ما نسب إليها من أبيات نظم شعري وقصائد جمعت في ديوان نسب لها، أو ما أثر عنها من نصوص كانت مقدار كثير من الدراسات على مختلف التوجهات القرآنية أو التحليلية أو الحديثة أو اللغوية أو الأدبية أو اجتماعية، التربوية والإرشادية والوعظية.

٢. النظر إلى الزهراء من خلال الفكر العقائدي وكيف مثلت صلوات الله عليها ركنا من أركان أهل البيت بنص القرآن وبنص أهل البيت أنفسهم وكيف لاحت مقاما وحجة على أبنائها وهم حجج الله تعالى على خلقه، وكيف كان مقاما عند الله.

٣. النظر في فكرة مقامها الرسالي بنص القرآن والآيات النازلة فيها، وكيف كانت مصداقاً حياً خارجياً محسوساً لا يمكن أن يحتمل أو يرجح معنى آخر غيرها، ففيها وأهل البيت وليس سواهم عنت آية المباهلة والقربى والتطهير... وغيرها كثير، فقد كانت الدراسات الحجاجية تلتمس حقائق مقامها الرسالي من نص القرآن

الكريم، وبيان رسوله الكريم، ومن سنته وآله على وجه الخصوص.

٤. النظر إلى الصديقة الشهيدة بعين نهج أهل البصيرة والعرفان وما تتجلى فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنوار قدسية في العوالم السابقة أو العوالم القادمة فضلا عن معجزات وكرامات عالمنا الشهودية وما نقل عنها من رواسخ وعجائب ونوادر الحكايات.

٥. الجانب التاريخي والسيرة المشرفة للصديقة الشهيدة كانت محورا مهماً للفكر التأليف عنها، وقد اتخذ المؤلفون جزئيات تاريخها وسيرتها المعظمة وما تعلق بها في كثيرة من الأحيان عناوين لمؤلفاتهم حولها عَلَيْهَا السَّلَام ولا سيما - وهذه ظاهرة في المؤلفات والمصنفات الفاطمية - ظلامتها ومقدماتها وآثارها ونتائجها التي خلصت إليها، حيث كانت لها من السطوة الفكرية والتجذر التوثيقي في أفكار وأقلام المؤلفات والباحثين.

٦. الجانب الروائي وما تعلق بروايتها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذا الطريق من السند رعاية خاص كونها الصديقة ابنة الصديق وزوجة الصديق ... وغير ذلك من الاتجاهات الفكرية في التأليف وهي كثيرة لكن من المهم هنا الإشارة إلى الزاوية النقدية للمؤلفات عن السيدة الصديقة أو للطروحات الفكرية والتوثيقية عنها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد تناولت كثير من الكتابات جوانب نقد المصنفات والمؤلفات التي تحمل فكراً يراه الآخرون أنه غير لائق بالصديقة الشهيدة أو هو مما يغض مما هو مفترض في منهج معرفتها وإدراك مقامها، فالزهراء الصديقة الشهيدة ليست بمقام حتى سيدات النساء إنما هي سيدة نساء العالمين والفرق واضح بين المقامين لذا فالمنهج والمعرفة تبع للمقام ولا يقلُّ أو تصحَّ المعرفة من دون حفظ المقام والمنزلة (٢٤).

• النسق الثاني: الموسوعات : ونريد بها المصنفات التي جاءت على شكل

أجزاء عديدة ومن أهمها :



أ. موسوعة جامع الأخبار الفاطمية :

كتاب مؤلفيه (جعفر حسن عتريس / والشيخ أحمد قبلان) في ثمانية مجلدات.

حاول أن يخرج ويوثق كل ما له صلة بالزهراء عليها السلام بدءاً من الجزء الأول وتوصلاً مع بقية الأجزاء التي تقدم صورة سيدة النساء وفقاً لما جاء فيها من نص قرآني أو حديث نبوي أو سنة مطهرة على أساس من التعبير الأدبي الجامع بين نصوص الروايات المنسقة بينها في الهدف الواحد والكلام عنها أجزاءً، فكان الحديث عن موضوعات شتى من مقامها وفضائلها وسيرتها وعلاقتها بالنبي وبعلمها وبنيتها وهم الشجرة الواحدة، وذكر مصحفها، إن إيراد النصوص السننية المطهرة والوقائع والمواقف والأحداث التاريخية بهذه الصورة من الاستخلاص والتلفيق وعرضها بصورة تلتقي مع أهداف ومقاصد وموضوعات هذه الأحاديث على غاية واحدة نسق مفرداتها، ونوع عناواناتها المؤلفان لتجذب إليها القارئ وترسخ عنده الأفكار العقيدية التي يقررها تعاضد النصوص بعضها مع بعض، وتوافر دلالاتها التي يشفع بعضها بعضاً المؤلفان؛ لذا لم تكن طريقة هذا الكتاب إلا من التأليف على منهج السهل الممتنع، فكيف يمتع المؤلف القارئ بنهج أساسه العقيدة وطريقها البرهان العقلي، مع صياغتها بأبعاد لا تخرج السنة المطهرة بقولها وفعلها وتقريرها عن خلاصة المواقف والأحداث التاريخية التي استلهمها من التراث الإسلامي المتعلق بالزهراء وأبيها وبعلمها وبنيتها، كل ذلك في جولة واسعة المدى بين مختلف المصادر والمراجع عند المسلمين كافة همها تأكيد أبعاد الحراك الفاطمي إنما هو حراك إسلامي عام لا يقتصر على ثلثة دون أخرى أو فئة من دون غيرها .

وقد تصدر الجزء الأول مقدمة مهمة جدا عرفت بالكتاب وشروطه حيث نصّ المؤلفان على جملة من الشروط في اختيار الرواية التي يختارونها في مادة مؤلفهم؛ ولأن هذه الروايات من الكثرة والتنوع بمكان كان لا بد لهما من وضع عدد من الشروط في اختيارها من جهة، ولتدعيم حجيتها بما يعرضان أو يعتمدان من الروايات أو النقول



المهمة من الصديقة الشهيدة من جهة ثانية.

من هنا كان شرط وجود الرواية عند الفريقين أول المعايير، فضلا عن شروط الخبرين الذي كان اختيار ذلك لعلّة (أن كثيرا من العامة كان يعتذر أحيانا بأن طبقة القدامى روى هذا الخبر ثم أعرضت عنه المشايخ المجاميع الحديثة أو من نقل عنهم، ثم يرتب على ذلك أن في الحديث عيبا منع المتأخرين عن أصل الطبقة أو الطبقات الأولى عن قبوله فيُبطل الخبر!! فكان لابد من تتبع سلّم الطبقة في الشرطين معا، شرط الواسطة، وشرط الشيخ، والشيخ على قسمين: شيخ التدوين، وشيخ النقل، وأعني بالثاني جملة من تقبل الخبر فرواه في كتابه) (٢٥).

فضلا عن ذلك فقد اعتمدا ضابط الصحاح والمسانيد ثم المجاميع.... إلى أكثر من ثلاثة عشر شرطاً أخرى غير ما ذكرتُ وعلى أية حال فقد قامت مقدمتها حول هذه الشروط وتحدثا عنها وعن التزامها لما أُلّفا ولعل ختام قولهما في هذه المقدمة في شروط تأليف الكتاب والتعريف به ينبئ عن ذلك قالاً:

(أخيراً: لنا في منهجنا التثبتي شروط كثيرة، ستجدها تباعاً مع تتبعك لما وردنا وعالجناه، فالتفت رحمك الله حتى لا نطيل عليك في هذا الباب التخصصي) (٢٦).

ب - موسوعة الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأطهر

- السيد محمد باقر الموسوي.

- طبع الكتاب لمرتين هذه الأخيرة منها عام (١٤٢٩ هـ) في مطبعة دليل ما / قم

إيران في سبع مجلدات.

حاولت هذه الموسوعة تتبع الآيات والأخبار والآثار التي جاءت في شأن الصديقة الشهيدة عليها السلام غرضاً في إظهار مقامها ومنزلتها في السماء قبل الأرض وعند رسوله والأئمة من بعده قبل عامة المسلمين وفي الأولى قبل الآخرة، لذا كانت من ثمار هذا الجهد وأهدافه هو تعريف أصل العلم والثقافة من الأمة الإسلامية بمقامها ومكانتها وما تعرضت له وما جرى عليها من السلطات آنذاك.

ولم يخلُ هذا الجمع والتأليف لمادة الكتاب من وجهة نظر المؤلف في إيضاح بعض مقاصد الروايات أو الإشارة إلى نكتتها كل ذلك وغيره صدره بلفظ (أقول).
لقد أفرد واستغرق الموسوي جانبا ليس باليسير من حياته في إنجاز هذا المؤلف تجاوز منه اثني عشرة سنة حاول فيما بذل من جهد أن يخرج الروايات من مصدرها محاطة بالدقة والتمحيص.

ج- إعلموا أي فاطمة / فاطمة الزهراء والحضارة الإسلامية:

- عبد الحميد المهاجر.

- دار الكتاب والعرة بيروت لبنان ط ١ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣.

قامت هذه الموسوعة في عنوانها على نص من كلام الزهراء عليها السلام في الناس أراد منها المؤلف تلك الدلالات الحية المتجددة لهذا المقطع من كلامها عليها السلام، جاء هذا الكتاب في عشر مجلدات احتوت على محاضرات تناولت شتى الموضوعات الإسلامية ذات العلاقة بالقرآن وأهل البيت وما يتصل بهما من قضايا العقائد والأحكام والأخلاق والتأريخ بأسلوب إرشادي وعظي، ولعلها أو كثير منها المحاضرات المنبرية التي يلقيها سماحة العلامة المهاجر، لقد تبني الشيخ المهاجر (أعزه الله) منهج بيان أن الرسالة الإسلامية بقادتها الإلهيين من أهل البيت من ولد فاطمة عليها السلام (أم أبيها وأمهم والحجة عليهم) إنما هي حضارة إسلامية إنسانية، أليس أهل البيت من نسلها؟ أليس هم صناع الحضارة الحقة بما جاؤوا به، وجسدوه من مثال إلهي على هذه الأرض وبما قدّموا من مثل يحتذى وقدوة يتأسى بها.

د. موسوعة هذه فاطمة وهي قلبي وروحي التي بين جنبي:

- دراسة وتحليل السيد نبيل الحسين، ط ١، مؤسسة الأعلمي ١٤٣٤ - ٢٠١٣.

- إصدار العتبة الحسينية .



جاء هذا الكتاب موشحاً بعنوان هو في أصله حديث المصطفى في بضعته الطاهرة حاول المؤلف من خلاله التذكير كيف هي الزهراء بمقامها الوجودي والمعنوي من الرسول الأعظم ملمحاً لما لها وما جرى عليها عليها السلام، بحث هذا الكتاب محطات سيرة الزهراء عليها السلام بتفصيل وإسهاب ووقف عند دلالات بعض الآيات والأحاديث والروايات والمواقف والأحداث معلقاً ومحللاً ومستنتقاً النصوص لمعرفة خباياها وما تنطوي عليه من دلالات.

لم يكن الكتاب مجرد جمع للفضائل والمناقب أو الروايات والأحداث بقدر ما كان قراءة تحليلية فيها وفي آراء العلماء وموقفهم منها، بل تراه يستطر في المباحث والدراسات لمظاهر ودلالات الموضوع بصورة عصرية مستوعباً المقولات والآراء الفكرية والعلمية والنفسية والاجتماعية في المسألة وكأنها هو في معرض دراسة موضوعية لكل جانب يطرحه تعلقاً بالزهراء عليها السلام ولك أن تنظر فما كتبه عن الطفولة في بيت الزهراء^(٢٧)، على الرغم مما للكتاب من أهمية بالغة ومهمة في مجال تحليله وتبويبه إلا أنه لم يكمل حلقاته في تتبعه لشخصية الشهيذة الصديقة وكم أملت أن يستوعب هذا الكتاب مفاصل الزهراء عليها السلام من صلوات وشؤون وشجون ليكشف عنها المؤلف بنظره وأسلوبه بعض ما خفي بأسلوب عصري ومنهج حديث.

هـ- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام :

- مؤلفها إسماعيل الأنصاري الزنجاني :

تعدُّ من أهم وأوسع واشمل ما صنف عن الصديقة الشهيذة، وحق لمؤلفه أن يعقب على عنوانه الكبير بعنوانه المبين الشارح للموسوعة بقوله «تنظيم موضوعي لكافة الأحاديث والنصوص في سيرة سيده النساء عليها السلام ومكانتها مع المصادر والأسانيد» وقد طبع هذا الكتاب لغاية هذه الأسطر ثلاث طبعات وما بين يدي البحث الطبعة الثالثة في خمس وعشرين جزءاً في اثني عشر مجلداً تخصص كل واحدة

وعلى اية حال كانت الزهراء عليها السلام في حياتها التكوينية والفردية والاجتماعية المحطة الأولى في التعريف بالموسوعة وكأنها حال المؤلف يقول أن معرفتي بالزهراء والصديقة ومدار بحثي عنها فمكانتها الإلهية أو السننية المطهرة أو عند المسلمين لا يمكن استيعابها جميعاً في كتاب خاص علماً أنه سعى إلى أن يوجد مصنفًا يحاول ذلك ويقصده عملاً وفكراً تأليفاً يقول (اعزه الله تعالى) :

«وفي جميع الكتب التي تكفل فيها المتقدمون أو المتأخرون أن يعرفوا الزهراء عليها السلام لم يدع أحداً أنه قام بتعريفها حق معرفتها، بل الجميع يعترف أنه قام بتعريفها على مستواه المحدود، ويشهد الجميع بعدم استطاعة احد للنهوض بأعباء مسألة تبين عظمتها ومكانتها وجلالتها وأقر الجميع أنهم لم يتمكنوا أن يبثوا قطرة واحدة من بحر عظمتها ولا ذرة واحدة من جبل جلالتها» (٢٩).

ينص المؤلف على الدوافع الرئيسية في تأليف هذه الموسوعة والخطوات الأولى منها فيعزو ذلك إلى عدم وجود كتاب يستوعب موضوع السيدة الشهيدة من جميع الجوانب والجهات ليكون مصدراً أساسياً للمحققين والباحثين (٣٠) جاء ذلك بعد أن صرف المؤلف شطراً من حياته في رحاب الصديقة الشهيدة وهي بحسب نصه «مليئة بالنور والخير والرحمة» (٣١).

إن من أهم المميزات المنهجية في تأليف هذه الموسوعة هو قيامها على الاستقصاء والاستقراء لآلاف المصادر والمراجع بالموضوع ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة سواء كان ذلك كتباً خطية أو مطبوعة، وفي مختلف اللغات وفي بلدان متنوعة فضلاً عن إجراء المسح البحثي لخمس عشرة قرناً من الزمان.

إنها حركة بحثية شاقة وطويلة وعلى الرغم من أنها أخذت من الباحث الفاضل زمناً فاق عشرين عاماً إلا أنه انتج عملاً علمياً في موضوع رسالي أنساني عزّ مثيله اليوم.

إن الناظر اللبيب في عناوين الموسوعة وموضوعاتها ليرى الزهراء الشهيذة كما هي في التوصيف الإلهي والسنني بعين شمولية ومدى واسعاً يجمع بين مقاماتها الملكوتية والشهودية في آن واحد، ومن هنا جاءت فصول الكتاب وأبوابه وتفرعاته فقد قامت خطته على تقسيم ابوابه على ثلاثة عناوين رئيسة تتجانس فيما بينها ملخصها الزهراء فيما قبل هذا العالم، وفيه، وبعده، وهذه النظرة الموضوعية إنما تستمد شأنها من واقع التحري والبحث عن الصديقة الشهيذة في تراثنا الاسلامي، ولعل وجودها يسبق ذلك حتماً كما هي الاشارات الى البشارة بأبيها وبعلمها وبنيتها وبها في الكتب المقدسة.

فكيفية خلقها النوري قبل آدم كان مدار بحثها قبل هذا العالم، وشأن ولادتها وما فيه من انعقاد نطفتها وأصوله الجنانية، وتأريخ الولادة وما فيه من نوادر الفضائل والاحاديث، ونشأتها المكية وهجرتها الى المدينة وأقامتها فيها ثم زواجها بالوصي عليه السلام وماله علاقة بذلك، وشأنها في افياء الرسالة وظلال الوصاية ونتاج الامامة، فضلاً شأنها عند خلص اصحاب النبي صلى الله عليه وآله ممن يعرفون قدر الرسالة وعظم النبوة بمقامها ومكانتها، وكيف ضيَّع بعد ابيها بما مرّ عليها من غصب حقها وظلمها وما الى ذلك من أمر شهادتها ودفنها وراثتها.

ولم يغفل المؤلف أن يتواصل مع جوانب وافكار كونت تفاصيل صورتها الشهودية الاخرى من سيرتها الشخصية الى خصائصها وأوصافها وما يتعلق بها من شأن محبيها واعدائها، وما كان لها من تفاصيل اخرى فيما توصف به من عبادة، وما أسند لها من احاديث كونت مسندها، فضلاً عما نسب عليها من أشعار وما الى ذلك من تفاصيل كثيرة مما تعلق بها في هذا العالم ختمه المؤلف بأسماء الكتب المؤلفة فيها وقد قاربت ثلاثة آلاف كتاب خاص بالزهراء عليها السلام، هذه الصفحة الثانية من تجليها (صلوات الله عليها) في عالمنا، ثم اعقب المؤلف بالصفحة الثالثة الزهراء الصديقة بعد هذا العالم ولا سيما ما تعلق بها من علو مقام في يوم المحشر مع النبي صلى الله عليه وآله وبمقام



شفاعتها ومنزلتها في الجنان.

هذا ملخص الموضوعات التي تناولها المؤلف (رحمه الله تعالى).

وبعبارة أخرى...

هياً المؤلف عليه السلام الجزء الأول من الكتاب ليكون معلماً يتعرف على عدد من مصادر موسوعته، وقد جعلها على حروف المعجم وقد بلغت نحواً من ألفين ومائتين وخمسين كتاباً خاصاً مستقلاً بالصديقة او عاماً ذكرها في أثناء مصنفه ثم أعقب على ذلك بموجز عن حياة الصديقة ليتقدم بها تفاصيل الموسوعة ويبدأ من (فاطمة الزهراء قبل هذا العالم). القسم الأول من أقسام الموسوعة التي هي على ثلاث أقسام جعل القسم الثاني منها (فاطمة الزهراء في هذا العالم) وأعقبها في القسم الثالث (فاطمة الزهراء بعد هذا العالم).

وقد نهج في توزيع كل قسم على ما أسماه (مطافات) وهي بمثابة الأبواب معنونة يندرج تحتها الفصول بحسب تخصصه بجزئية من الموضوع المناسب مع الباب الذي هو فيه ويقدم المؤلف في كل مطاف أو باب أو فصل بتوطئه يوجز فيها عن مقاصده وأهدافه الإجرائية التنظيمية منه ثم يبدأ بعرض الروايات في قالب منهجي أساسه أمرين :

الأول: سلسلة الروايات بالأرقام لغرض تنظيمي احصائي .

والثاني: جعل الروايات ضمن هيكل علمي توثيقي تحت العناوين الآتية: المتن، المصادر، الأسانيد، فيكون نص الرواية (متنها) تحت عنوان المتن، ثم يأتي بقائمة المصادر التي نصبت ونقلت هذه الرواية، ويشفعها بأسانيد الرواية إذا اختلفت إلى المصادر ذاتها.

ولا يخفى على الباحث الفطن دقة هذه الاجرائيات والآليات في جمع وحشد النصوص الموضوعية في الصديقة الشهيدة فهي لكثرتها وتنوعها وتعدد مصادرها



وتشعب أسانيدها تحتاج الى العمل الدقيق والتوثيق المحكم الذي يرصن العمل من جهة، ويقدم ثمراته اليانعة للباحثين والمفكرين صحيحاً منزهاً عن الخطأ والزلل فضلاً عن الاستقراء والتتبع بهيأة تختصر الزمان والمكان لا يمكن أن يُرى مثلها في قضايا أو موضوعات علمية أو بحثية دراسية أخرى.

وعلى أية حال فقد وقف القسم الأول من هذه الموسوعة عند المطافات (الأبواب) الثلاثة بداية خلقها، وخصوصية خلقها قبل آدم، وكيفية خلق نورها (صلوات الله عليها)، ومن طريف القول هاهنا أن المؤلف أستوعب في هذا الباب من مصادر المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم وكذا هو الحال في بقية أجزاء الموسوعة، وأعتنى بدقة النقل والضبط لما ينقله من هذه المصادر ولك أن تجد لذلك مثلاً حياً في جميع أجزاء الكتاب، وقد ابتداءً في أول حديث نقله في سلسلة بأن ذكر خصوصية نقله من المصادر المختلفة بألفاظه المتنوعة، فعندما وثق متن الحديث الأول من المصادر ذكر أسم المصدر ونص على ماله من ملاحظة حول متنه مثاله : ما نقله من مخطوط (درر الفضائل) للأشتياني قال (فصل تزويج النور من النور بتفاوت يسير)^(٣٢)، وكذا الحال بالنسبة للمصادر المطبوعة ولسوف نجد هذه الدقة في التوثيق والنقل عندما يتعرض لذكر الأسانيد واختلافها في المصادر وقد ابتداءً هذا الطابع الرصين في إجراءات العمل من أول حديث في الموسوعة حتى نهايتها.

ولاريب في أن ذلك يمثل ميزة علمية منهجية تتوافر في هذه الموسوعة على مدى أجزاءها كاملة^(٣٣).

وفي الجزء الثاني من الموسوعة يتصدر القسم الثاني من منهج المؤلف (فاطمة الزهراء في هذا العالم) حيث يبدأ بالمطاف الاول وروايات انعقاد نطفتها (صلوات الله عليها) من ثمار الجنان وكيف هي بوصف النبي الأعظم ﷺ الحوراء الإنسية .

«عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله، مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك

في فيها كأنك تريد أن تلحقها عسلاً فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لما أسري بي دخلت الجنة فناولني جبرائيل تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة ^(٣٤) في صلبى، فنزلت فواقعت خديجة، وفاطمة منها، وكلما اشتقت الى ريح الجنة قبلتها، يا عائشة، فاطمة حوراء إنسية» هذه الرواية وغيرها الكثير حشد لها المؤلف عشرات المصادر والمراجع من مختلف مذاهب المسلمين وطوائفهم، ليوثق من جهة ويدل على توافر الروايات وتنوعها فكرةً وألفاظاً في التعبير عن الموضوع الواحد، فكأنك تشهد أن هذا الحدث جرى مرات عديدة، أو أنه روي بأشكال مختلفة لا تتعارض مع أصل موضوعها وغايتها . وكذا الأمر في بقية فصول الكتاب التي لا تغادره نواذر الكرامات وعوالي المعجزات في أمر حملها وولادتها ونشأتها المكية والمدنية.

ويبدأ المجلد الثاني (الجزء الثالث) من الموسوعة المتخصص بزواج الصديقة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَام بالمطاف (الباب الثاني) في فصول ثلاث تناولت كفويتها علياً . وزواجها به من أمر الله عز جل، وخطبتها وفي كل ذلك تشهد نصوصاً تاريخية وعقائدية وقرآنية في غاية التتبع والاستقراء.

ويستكمل الجزء الرابع بقية الفصول والعناوين التي تتصل بزواجها من الأحاديث في تاريخ الزواج وكيفياته والصداق والعقد والجهاز ووليمة العرس ونثاره وفي هذه التفاصيل تجد الرعاية الالهية والعناية الربانية قرين حركة زواج فاطمة الحوراء الإنسية.

ومما لفت نظر الباحث المزايا المنهجية للمؤلف تتسع مع صفحات الموسوعة ومن بينها وقفاته العلمية التحقيقية وردة الافتراءات التي نقلتها بعض الروايات الموسوعة في مسألة خطبة علي من الزهراء مثلاً فتراه يقف عند ذلك موضعاً زيف الرواية بدءاً من اصل وجودها في المسانيد والمعاجم عند أهل السنة فقط من دون وجود أو اية إشارة لها في غير ذلك من كتب المسلمين وعند التحقق من اسانيد هذه الروايات ورواياتها فتراهم على نهج من خالف علياً واتبع نهج أعدائه ^(٣٥) .

وكذا الأمر من العناية والرعاية السماوية والنبوية تلحظها فيما يتصل بروايات
المجلد الثالث (الجزء الخامس والسادس) وقد تخصص بولادة ذريتها، وما يتصل
بأولادها مما يرتبط بها (صلوات الله عليها) ولك ان تجد من الفرائد المنهجية
للموسوعة أنها تؤسس لقاعدة معرفية باتجاه أهل البيت عليهم السلام جميعهم، وخلاصتها أن
الحديث عن أيّ منهم صلوات الله عليهم بشكل مستقل منفرد قد يستحصل من بعض النصوص في
المصادر التاريخية إلا أن أكثر النصوص الوثائقية تنبئك بعلاقة موضوعية ترابطية بين
الخمس من أصحاب الكساء على وجه الخصوص وبين ذرية الائمة من آل البيت
عموماً، فحيثما وجدت فاطمة وجدت النبي وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وكذا
الأمر بالنسبة لعلي أو النبي أو الحسن أو الحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) ولعلك
تعلل هذا أنهم في بيئة واحدة وسياق واحد فيما ينقل عن واحد منهم ينقل عن الآخر،
وهذا أمر صحيح لا يمكن إنكاره إلا أنك عند استقراء النصوص المتعلقة بكل فرد
منهم تجد قصداً مركزياً الى ذكر كل واحد منهم متعلقاً بالآخر كتلة واحدة نظماً واحداً
لا انفلت منها لؤلؤاً عن الآخر، بل ينتظم نظماً إلهياً عجبياً فريداً حيث لا يتم كمال
الصورة إلا بتمامهم وهو ما ألفت إليه المؤلف رحمته، ولا سيما في الجزء السادس فيما
يرتبط بها من صلتها بأولادها، وترى الأمر ذاته في المجلد الرابع في (الجزء السابع
والثامن) مما جاء في بقية أحاديث المجلد السابق فضلاً عن أحوال الصديقة مع النبي
الأعظم وفيه عظام الأحداث والمواقف والأحاديث التي تخبرك عن دلالات
مقاماتها، وسمو منزلتها (صلوات الله عليها).

وتتصل فصول المجلد الخامس (الجزء التاسع والعاشر) مع سابقها فيما يتعلق
ويرتبط بالزهراء مع أمير المؤمنين عليهما السلام وعلاقة أزواج النبي صلوات الله عليهم وأصحابه فضلاً عن
صلتها مع الملائكة التي كانت تحف بها ولاسيما بعد شهادة أبيها، ولا ريب في ذلك
مطلقاً ولها ما لها عليها السلام من الخصوصية الإلهية التي أكدها المؤلف في آفاق موسوعته كلها
من ذلك «قال الحضرمي: حدثنا سليمان، قال: محمد بن أبي بكر لما قرأ: ﴿وَمَا



أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... ﴿الحج / ٥١﴾ [ولا محدث، قلت: وهل يحدث الملائكة إلا الأنبياء؟ قال: مريم لم تكن نبيّة وكانت محدثة، وأم موسى بن عمران كانت محدثة ولم تكن نبيّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت محدثة ولم تكن نبيّة» (٣٦) .

وفي الجزء العاشر يوصل المؤلف رحمته الحديث بما سبق من فصول ليستكمل حلقات سيرتها وما جرى عليها بعد أبيها عليه السلام فيجعل هذا الجزء في فصلين الاول منها توثيق الروايات حول مدة بقائها ومكثها بعد ابيها من نصوص التاريخ وقد توزعت على ثمانية عشر قولاً تنوعت في التوثيق والعدد قلة وكثرة .

وفي الفصل الثاني يتناول جانباً من سيرتها وهي مظلوميتها والتعدي على بيتها فيضع المؤلف لهذا الفصل عنواناً (قصة الباب) يريد منه الدلالة والمعنى في التعدي على حرمة دارها والهجوم عليه وحرق بابها، ثم يعقب على ذلك بغضب حقها (فدكاً) وان كنت أرى بحسب ما أعتقد أن يقدم على التعرض لبيت الزهراء (صلوات الله عليها).

وبعبارة اخرى تكاد الاحداث والمواقف التي جرت على الصديقة الطاهرة بعد شهادة ابيها تتسارع ويعظم خطرهما بجرأتها وتعديها على شريعة الاسلام وحرمة وقدسية كتابه ونبيه وآله، وبدأ ذلك من نبذ وصية النبي ثم التعرض لآله وقرباه بغضب حقوقهم والعدوان عليهم وما قصة حرق باب دار فاطمة إلا امتداد لذلك الانقلاب على الرسول عليه السلام والرسالة، وتجدد لنكبات المسلمين التي ما انتهت مذ ارتحل النبي الاعظم عن دار الدنيا حتى بدأت تترى على آله مرة بعد أخرى، من هنا تجد أن المفارقة التي أحدثتها مظلومية الصديقة الشهيدة في اوساط المسلمين وانقسامهم بين منكر رافض، مقاوم لطغيان السلطة وهيمنة الظلم، وبين متخاذل قد ركن الى الخوف والظلم على الرغم من المناشدات الفاطمية والخطابات المتلاحقة للصديقة ومحاوله استنهاض همهم وايقاظ نومتهم بطرق ابوابهم حتى القت الحجة

بعد الحجة عليهم فلم يكن لها من ناصر إلا القلة القليلة، فكان موقفها (صلوات الله عليها) منهم الأذى وعدم الرضا والغضب حتى مضت عنهم مظلومة شهيدة وهي قالية لهم ساخطة عليهم.

إن هذه المواقف والإحداث رسّخت المفارقة في الفكر التألّيفي حول مظلومية الصديقة فجاءت المصنفات على تنوعها واختلافها وتجدد عصورها الى اليوم تجمل شواهد ذلك يجبرك عنها هذا الرصد التوثيقي للمؤلف للنصوص التاريخية والسيرية والعقائدية والحديثية والفكرية بخصوص مظلومية الصديقة الشهيدة على مدى أكثر من ثلاث مجلدات (في خمسة أجزاء، من العاشر الى السادس عشر).

لقد أنتجت مظلومية الوصي والبتول الزهراء (عليهما السلام) محوراً بحثياً تأليفاً واسع المدى في التصنيف طوال القرون والأزمان (خمسة عشر قرناً)، وأضحى محركاً وجدانياً، وبرهاناً عقلياً على كل التحولات والمواقف الاسلامية الدينية والعقيدية والتاريخية من السلطات بعد النبي، فضلاً عن تجسيد مكانة آل البيت عليهم السلام في صور القهر والظلم عند عامة المسلمين، وبصورة طابعها قهر وظلم وحي السماء و نص السنة عند خواصهم وأثارت هذه التصورات ذلك الفكر الولائي منهجا وعملا تارة، وبرزخا يحيط الوجدان والعقل تارة ثانية ينعكس تأليفاً وتصنيفاً على مر العصور، ذلك ان تنظر كيف حشد المؤلف مئات المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة لتوثيق ذلك (٣٧)

من هنا كان مدار المجلد السادس والسابع والثامن (الأجزاء من الحادي عشر الى السادس عشر) عن غضب نحلته (فدك) وحرق بابها وايدائها وشهادة ابنها المحسن، وغير ذلك من تطورات الإحداث من مرضها وخطابها حتى شهادتها وتجهيزها وفيما جرى بعد وفاتها مما اتصل بها من شأن قبرها ورثائها وحزن وكمد امير المؤمنين وأولادها عليها وحال الناس بعد فقدانها واجدة عليهم. ثم استكمل المؤلف اسماعيل الانصاري موسوعته بثلاث مجلدات (ستة اجزاء) عدا الاخير منها تناول



فيها حياتها الشخصية وما كان من حالها في بيتها واثاثها ومطعمها وملبسها وخوادمها وجواربها، وبحث كذلك مختصاتها بدءاً من أنها كانت مدار حديث اهل البيت ومنبع نسل النبي ﷺ وامتداده وذريته المطهرة منها، وما لها من اسماء وألقاب وكنى وما لها من مقام في الآيات النازلة، وخصوصية مصحفها الى غير ذلك من خصوصية محبتها وولايتها او خصوصية محبيها وجزاء اعدائها ومن آذها . وما كان لها من شمائل واوصاف في صدقها وصبرها وطهارتها وعفتها وعملها وفضائلها وعبادتها وتسبيحها وادعيتها وزيارتها والصلاة عليها، وما لها من اسناد عن النبي الاعظم بلغ من الاهمية بمكان ان ألف فيه من القدامى والمعاصرين المؤلفات (٣٨) وغير ذلك الكثير الكثير من مفاصل ومناقب شخصها المقدسة، وسيرتها المعظمة (صلوات الله عليها) وبنهاية المجلد الحادي عشر والجزء الثاني والعشرين ينتهي القسم الثاني من الكتاب وهو فاطمة الزهراء في هذا العالم .

فاذا ابلغنا المجلد الثاني عشر الاخير وفيه الاجزاء (الثالث والرابع والخامس وبعد العشرين) لرأيت تخصص الاخير بالفهارس التفصيلية الدقيقة اما الثالث والعشرين فهو الجزء المتعلق بالمؤلفات المتخصصة فيها ﷺ وقد ابداع الانصاري الزنجاني فيها أيما ابداع فأظهر استقراءً جاداً واستقصاءً محكماً لما ألف وصُنف بشكل خاص ومستقل بالصديقة المطهرة حتى بلغت مجموع المؤلفات (٢٨٥٠) مؤلفاً وقد جرى هذا الاحصاء قبل صدور الطبعة الاولى عام ١٤٢٥ هـ اي قبل ما يقارب عشرة اعوام واكثر، وهي اليوم اكثر من هذا العدد بكثير.

لقد حاول المؤلف بمهارة بحثه وميزة منهجية ان يوقفنا على أهمية التأليف عن الصديقة الشهيدة في خمسة عشر قرناً فقسم هذه المؤلفات على القرون السابقة (٣٩) ثم اظهر لنا إحصائيات دقيقة عن اللغات (٤٠) التي ألفت بها الكتب المطبوعة فكانت في تسع وعشرين لغة، ثم صنف هذه الكتب على البلدان التي طبعت هذه المؤلفات التي بلغت (١٩٢٢) كتاباً في بلدان القارات الآسيوية والأوربية والأمريكية

والاستراتيجية^(٤١). ولم يكتف المؤلف بذلك فزاد عمله حسناً وبهاءً ان كشف لنا عن إحصائية بالمؤلفات الخطية المحفوظة بالمراكز التراثية والمخطوطات في العالم والتي بلغت (٩٢٨) كتاباً مخطوطاً مصنفة على بلدان العالم ومكتباته^(٤٢) وختم هذه الإحصائية بثلاث إحصائيات مما تعد له من مزايا إبداعية في المنهج والتحليل. فقد قسم هذه الإحصائيات منسوبة الى المؤلفين بحق الصديقة عليها السلام فبلغ عدد المؤلفين (١٨٥٠) شخصاً معظمهم من الامامية الاثني عشرية، ثم اظهر احصاءً لجمع المؤلفين منسوبين الى مذاهبهم الإسلامية من جهة والى غير المسلمين كذلك، فقد ألف النصرى في الصديقة الشهيدة كذلك وبلغ عددهم (١٨) مؤلفاً، فضلاً عن عدد من المؤلفات لم يعرف لها مؤلف او انها صدرت والفت على يد هيئات تحريرية او مجموعة أعداد لمقررات بحثية هذا اولاً، والإحصائية الثانية تناول فيها الانصاري الزنجاني الموضوعات التي كانت مدار اهتمام المؤلفين ولخصها في (١٧) موضوعاً، والإحصائية الثالثة - وما أروعها - وهي التي تخصصت بالمناهج البحثية التحقيقية في التأليف والتصنيف عن الصديقة الشهيدة و أوجزها في اثني عشر منهجاً.

ولا أشكّ مطلقاً ان عملاً يستوعب هذا القدر من المؤلفات والمؤلفين استقراءً واستقصاءً وتوثيقاً وتحليلاً احق بالإنصاف والاحترام والشمس.

لقد ختم المؤلف هذه الإحصائيات المهمة بدعوة الى ما يتأمل تأليفه بحق الزهراء عليها السلام فعلى الرغم من ان هذا الجهد قد اسدل الستار على غالب من ألف وصنف في البتول الطاهرة عليها السلام الا أن المؤلف - بحكم خبرته وتخصسه - يجد مجالاً واسعاً مايزال لم يُستوعب، ولا سيما فيما يتعلق بتدوين حياتها مع ذكر الجزئيات، وتحليل هذه السيرة العطرة بصورة معمقة تستنبط فيها المعاني والدلالات، وتجميع شامل لما يتعلق بها في كل الاحداث والمواقف واقوال العلماء فيها والمعجزات والكرامات التي تحققت من خلالها وبها فضلاً عن التحقيقات والتحليلات والدراسات الكلامية وغيرها لتراثها عليها السلام فضلاً عن الروايات الواردة فيها.



وقبل ان يعرض المؤلف لما استقصاه من الإحصائيات - ومن الإنصاف بحق الآخرين - استعرض اهم المصادر البيلوغرافية التي سبقته في هذا المجال بحق الصديقة الشهيدة فعرض لدونات البيلوغرافية الفاطمية فضلا عن الكشف عن منهجه المتبع في تأليف هذه الإحصائية الأكبر والأوسع من غيرها (٤٣).

لقد استغرقت الكتب المؤلفة والخاصة بالزهراء عليها السلام مجلداً كاملاً كنت آمل من مؤلفه ان يجعله في أوائل هذه الموسوعة الا ان اجتهاده ورأيه شاء ان يكون في الجزء الثالث والعشرين من الموسوعة، ولكم كنت آمل أن يتحفنا الأنصاري كذلك بتفصيل أدق وأكثر عن التراث الخطي بحق البتول الطاهرة.

والذي اعقبه بالجزء الرابع والعشرين والذين تناول القسم الثالث والاخير من الموسوعة وهو (فاطمة الزهراء بعد هذا العالم) وتناول فيه الأبواب الآتية جلاله فاطمة في المحشر ولقائها مع ابيها وابنها الحسين ع في المحشر وشفاعتها، ومنزلها في الجنان وكيف تشرق من نورها .

هذه خلاصة الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام التي جاء في خمس وعشرين جزءاً في اثني عشر مجلداً، وهي من أهم وأضخم ما ألف عن الصديقة الشهيدة، وإن كان ثمة أمنية أو توصية لمن يؤمل منه تنقيحها أو تطويرها فدونه هذه الآمال لعلّي أشاركه فيها:

١- برمجة هذ الكتاب الوثائقي المهم الكترونياً بمكتبة متخصصة بالصديقة الطاهرة الشهيدة.

٢- إضافة ما يمكن اضافته الى هذه الموسوعة مما كتب في ميدان المؤلفات الدورية العلمية من مجلات ودوريات علمية او ثقافية مطبوعة او الكترونية او على شبكات الانترنت.

٣- تطوير هذا المشروع ليكون بداية سلسله بحثية دراسية وثائقية عن أهل

البيت المعصومين عليهم السلام جميعاً لتوثيق ما كتب عنهم والف حولهم.

- ٤- تنقيح الكتاب من بعض التداخل بين الموضوعات وأحكام التسلسل الزمني للأحداث ولا سيما ان اثر التسلسل التاريخي له قيمته الثمينة والعلمية عند الباحثين.
- ٥- تسهيل وصول الكتاب واعادة طبعه ورقيا والكترونيا ونشره في الأوساط العلمية والثقافية لتحقيق اقصى غايات الافادة منه.

هذا الكتاب كان مدار القلم، وميدان تلمس الفكر الذي ارتاد ساحة التقديس الالهي وفي أجوائه اشراقة الانوار الفاطمية المحمدية والحمد لله أولاً وآخراً.

* هوامش البحث *

- (١) الاندماج أو التلاشي : هاني فحص / ٢٢ / دورية الراصد التنويري / عدد ٢ / لندن / ٢٠٠٨
- (٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ١١ / ٤٤، وانظر كذلك ما جاء في افتراء ووضع الأكاذيب الأموية بحق علي عليه السلام / ٤ / ٦٣ .
- (٣) سورة التوبة الآية ٣٢.
- (٤) لم ينجح المؤلفون والمصنفون وأهل العلم من عامة المسلمين الذين ألفوا في فضائل أهل البيت ومنزلتهم من التقتيل والترهيب بسبب ما ألفوا، ينظر مثلاً حادثة النسائي بعد تأليفه "خصائص أمير المؤمنين"، خصائص أمير المؤمنين / النسائي / ٦ .
- (٥) مثلاً خذ قول علي عليه السلام وعهده لملك الأشتر ومنه قوله «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».
- (٦) قد لا تسعفنا المؤلفات البيبلوغرافية الفهارسية عن عدد هذه المؤلفات بشكل محكم لتجدد الإصدارات يوميا بعد يوم إلا أننا يمكننا أن نحصل على ذلك بشكل تقريبي ولا سيما أننا إزاء ظاهرة علمية جديدة في إنشاء المكتبات المتخصصة ولا سيما في مكتبات العتبات المقدسة العامة، حيث يخصص كل مكتبة جناحاً خاصاً بالمعصوم في تلك العتبة فضلاً عن جناح أهل البيت بشكل عام. ظ/ موقع العتبة العلوية المقدسة ومن خلالها مواقع العتبات المقدسة.
- ومن بين أكثر المكتبات المتخصصة بأهل البيت أهمية^٦ في العالم مكتبة (كوهرشاد) في العتبة الرضوية المقدسة.



- (٧) ظ / مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة / ١٤٥ / تقريراً لأبحاث الشيخ محمد السند/ بقلم السيد محمد علي الحلو.
- (٨) ظ / أهل البيت والأنبياء في القرآن الكريم / ٤٢ . بحث مخطوط
- (٩) ظ / مقامات فاطمة الزهراء / ٤٥ .
- (١٠) ظ / في ذلك: فضائل الخمسة من الصحاح الستة / ٣ / ١٤٧ ، تحاف السائل / ١٩ ، فضائل فاطمة الزهراء الحاكم النيسابوري / ١٥٥ .
- (١١) السيد اسماعيل الإنصاري الخوئيني في كتاب الكبير الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء
- (١٢) ظ / الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام / ١ / ٣١ ، ٢٣ / ٥٥ .
- (١٣) ظ / الوراثة الاصفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام / ٣١٦ ، ٣٢٣ .
- (١٤) سورة آل عمران / ١٤٤ .
- (١٥) الوراثة الاصفائية / ٣٣٣ .
- (١٦) ظ / تأملات في المنهج الحركي للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء / هادي التميمي / ٢٤١ ، ظ كذلك / دور السيدة الزهراء في الحراك السياسي بعد استشهاد الرسول الاعظم / علي عبد المحسن البغدادي / ٢ / ٢٩ .
- (١٧) ظ / نهاية التحقيق فيما جرى من أمر فدك للصديقة والصدّيق بالنص والتوثيق / ١٤٧ وما بعدها.
- (١٨) ظ / الوراثة الاصفائية لفاطمة الزهراء / ص
- (١٩) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ١٦ / ٢٨٤ .
- (٢٠) ظ / على سبيل المثال الخصائص الفاطمية / ١ / ٣١٧ ، ٣٣٥ .
- (٢١) يمكن تلخيص حياتها بعد أبيها صلى الله عليه وآله بقولها هي عليها السلام في جواب سؤال أم سلمة كما في الرواية: «دخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟ فقالت: أصبحت بين كمد وكرب فقد فقد النبي صلى الله عليه وآله، وظلم الوصي» مناقب ابن شهر آشوب: ٢٥ / ٢ .
- (٢٢) ظ / الأسرار الفاطمية / ٣٥١ .
- (٢٣) البحار / ٤٢ / ١٠٥ .
- (٢٤) ظ مثلاً: خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام / ١ / ١٥ .
- (٢٥) جامع الأخبار الفاطمية / ١ / ١٤ .
- (٢٦) المصدر نفسه / ١ / ٢١ .

(٢٧) هذه فاطمة / ٣ / ٢١٥ .

(٢٨) ذكر المؤلف في أول طبعاته للكتاب عام (١٤٢٥هـ) أن عدد المؤلفات، السيدة الصديقة وقد أحصاها كانت في حدود (٢٨٥٠) كتاباً في مختلف اللغات على وجه الارض، ولاشك أنها زادت وتواصلت ونحن الان في عام ١٤٣٦هـ و وقد حاولت أن استقرأ ما كتب عنها (صلوات الله عليها) وما صدرت من مؤلفات ولو كان ذلك إحصاءً عددياً فوجدت في فهارس مكتبة الامام علي والزهراء عليهما السلام المتخصصة في مشهد المقدسة ما يصل الى ثلاثة آلاف كتاب ويزيد عنها . «لقاء شخصي مع أمين عام المكتبة : الاستاذ مجتهدي».

(٢٩) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء / ١ / ١٤

(٣٠) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء / ١ / ١٩

(٣١) المصدر نفسه / ١ / ١٦

(٣٢) الموسوعة الكبرى / ١ / ٢٠٨

(٣٣) الموسوعة الكبرى / ١ / ٢٠٨ .

(٣٤) في بعض المصادر : نورا .

(٣٥) الموسوعة الكبرى: ٣ / ١٠٤ - ١٠٦ ، أنظر كذلك تعليقه على قضية الشفاعة: ٢٤ / ١٦٤ - ١٦٦ .

(٣٦) الموسوعة الكبرى / ٩ / ٣٣٢ - ٣٣٣ وانظر مصادره وتوثيقه .

(٣٧) ظ / الموسوعة الكبرى / ١١ / ٣١٦ .

(٣٨) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣٩) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٣١ - ٣٤ .

(٤٠) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٢٢ .

(٤١) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٢٣ - ٢٦ .

(٤٢) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٢٦ - ٣٠ .

(٤٣) ظ / الموسوعة الكبرى / ٢٣ / ٥١ - ٥٢ .

